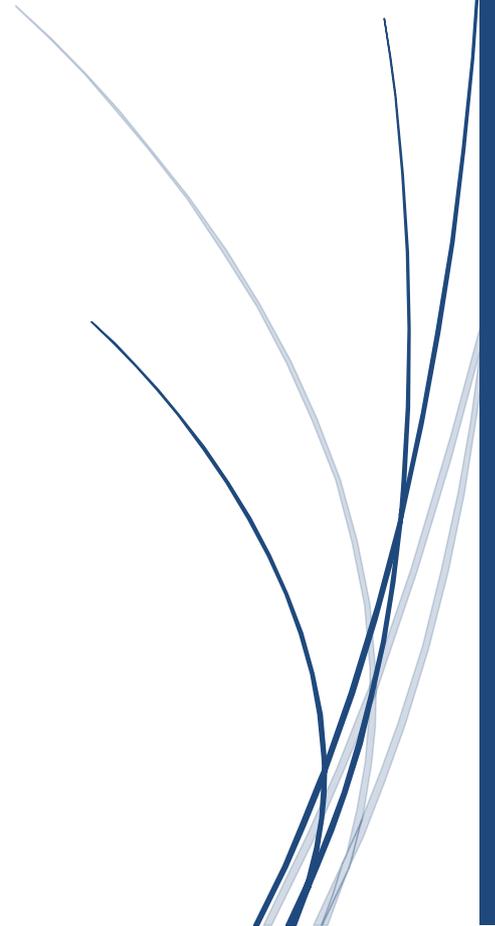


سلسلة لقاءات التفسير لشهر
رمضان المبارك من
عام ١٤٣٦هـ

اللقاء العشرون: سورة الروم (٣٠-٣٥)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريف من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

[/!#/http://tafaregdros.blogspot.com](http://tafaregdros.blogspot.com)

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريف من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في

شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

[/http://www.muslimat.net](http://www.muslimat.net)

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر

لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمد الله عز وجل حمداً كثيراً طيباً مباركاً ونسأله سبحانه وتعالى بمَنه وكرمه أن يجعلنا من أهل القرآن ومن يصحب القرآن فهماً وعلمًا ويعيش معانيه ويهتدي بهداه، فيكون حقًا القرآن ربيع قلبه، نثر بذره في أرض القلب وحصد ثماره اعتقادًا وعملاً، اللهم ارحم قلوبنا واملأها إيمانًا وتقوى ويقين، واجعل لنا أكبر الحظ والنصيب من هذا الكتاب العظيم.

في جلستنا هذه إن شاء الله نندرس آيات من سورة الروم، وهذه السورة العظيمة سورة التوحيد التي ظهر فيها من آيات الله ما ظهر، والحقيقة أن هذه السورة تحتاج - ككثير من سور القرآن - تحتاج منا الجد في عرضها على الأبناء، تحتاج أن نذكرهم دائمًا بالآيات التي تُحيط بها، وقد تكررت في هذه السورة: **{ وَمِنْ آيَاتِهِ }**، فهذه الآيات تحتاج إلى كثير من الاهتمام.

ونندرس اليوم إن شاء الله قوله تعالى في سورة الروم: **{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا }**، وهذه الآية أتت بعد ما عرض الله عز وجل آياته وأعلمنا أحوال المعرضين عن دلائل الحق، فقال لنبيه ولكل من يصلح له الخطاب: **{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ } دَوْمًا وأبدًا، ولا تهتم بإعراضهم وإنما اعتني باستقامتك، وهذا يشبهه { فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ }، ومثلها: { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ }، والمعنى أن الحق واضح تعرضه قبلوه فذاك توفيق الله، أعرضوا هم خذلوا أنفسهم. **{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ }** والمؤمنون معك.**

وإقامة الوجه: تقويمه وتعديله باتجاه قبلة معينة قبل الإنسان لا يمين فيها ولا شمال، وكأننا نتصوّر في هذه السورة الإقبال على الشيء والتمحّض للانشغال به، فلا ننظر يمينا ولا يسرة، فالقائم في الصلاة قائم ببدنه قائم بقلبه مستقبل للقبلة، مستقبل بقلبه قبلته وهي وجه الله ورضاه، والمصلي يكون الله عز وجل قبله وهو يعتني بنظر ربه.

وهكذا الدين كأن الدين أمامك في وجهك مطلوب منك أن تقم وجهك للدين لا تذهب لا يمينا ولا يسرة، وسيتبين لنا أنه أكيد في وجهنا لا يحتاج لتصل له إلى التفات؛ لأنه فطرة الله، فكل شيء يدعوك أن تعتدل باتجاهه، وسيتبين لنا هذا القيام - قيام الدين - بالتفصيل من كلام الشيخ السعدي.

والحنيف هو الميل عن الباطل، تبتعد عنه وتتوجّه إلى الحق.

ثم يخبر سبحانه وتعالى أن هذا الدين فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله.

ثم يصفه بأنه الدين القيم، فهو عام مناسب لجميع العصور، صالح لجميع الأمم، وهذا دليله أن هذا الدين بُني على الفطرة، لا تبديل لخلق الله، يعني هذه الفطرة ستبقى وكلّ مولود سيولد عليها ولا يستطيع الشيطان أن يتدخل في ذلك.

يعني الإنسان يولد على الفطرة، لا يمكن أن يولد إلا على الفطرة، أمّا بعد ذلك فأمر آخر.

يقول الشيخ السعدي: "يأمر تعالى بالإخلاص له في جميع الأحوال وإقامة دينه فقال: **{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ }** أي: انصبه ووجهه إلى الدين".

يعني أقم من الانتصاب، والانتصاب ضدّ القعود والاضطجاع، وأيضًا هذا قريب من الاستقامة.



ما هو الدين؟ قال: "الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان"

كيف تكون إقامة وجهي للدين؟ قال: "بأن تتوجه بقلبك وقصدك وبدنك إلى إقامة شرائع الدين الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوها".

يعني تحتاج قلبك يقيم الدين، تتوجه بقلبك وفي قلبك مقاصد وتيات فتتوجه بقلبك وقصدك وبدنك، تتوجه بقلبك حبًا وقصدك إخلاصًا وبدنك متابعة.

قال: "إلى إقامة شرائع الدين الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوها. وشرائعه الباطنة كالمحبة والخوف والرجاء والإجابة، والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة بأن تعبد الله فيها كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

إذن عندي شرائع ظاهرة عليّ أن ألتزم بها، وعندي شرائع باطنة عليّ أن ألتزم بها وأهتم بها، وعليّ أن أحسن في الشرائع الظاهرة وأحسن أيضًا في الشرائع الباطنة، والشرائع الباطنة من أكثر الشرائع وأعظمها ظهورًا وأكثرها حدوثًا، وللأسف وأقلها اهتمامًا! فإن محبة الله التي تظهر في مناجاته وفي حب رضاه وفي الشوق إليه والخوف منه الذي يظهر في الرعب من تصوّر أن يطردنا من بابه أو أن نفترف شيء فيمنعنا من جنابه، أو يقطع علينا أبواب ولايته، والرجاء الذي يتمثل في الرغبة إليه وحب ما عنده وانتظار الخير منه، والإجابة التي تجعل العبد كلما فات جزء من يومه يتذكر أنه لم يذكر ربه، أو أنه لم يتفكر في خلقه، أو أنه لم يستغفره، فيعود مُقبلاً على ربه منيب، متحسّرًا على وقت قضاه لم يذكره فيه ولم ينيب إليه، فيعود إلى ربه منيبًا ذاكراً راجيًا. فما أحسن أن تندرس بيننا هذه العبادات القلبية، وما أحسن تذكير بعضنا بعضًا بها، وما أحسن تصوّر أنّ هذه العبادات القلبية هي أصل العبادات البدنية، وهي حقيقة رحلة، فإنّ المؤمن راحل بقلبه إلى ربه يجرّ بدنه وراءه، فمن أحسن في العبادات القلبية لا بدّ بأمر الله أن يحسن في عباداته البدنية أو يقارب ذلك.

قال الشيخ: "وخصّ الله إقامة الوجه لأنّ إقبال الوجه تبع لإقبال القلب"

بمعنى أنّ القلب لو كان مشغول عن قبلته العين تتبع مكان الانشغال، والوجه يلتفت إلى مكان الانشغال، فإذا التفت الوجه سعى البدن لما التفت إليه الوجه

"ويترتب على الأمرين سعي البدن" يقصد إقبال الوجه وإقبال القلب، الوجه من القلب والبدن تابع لهما.

"ولهذا قال: {حَنِيفًا} أي: مقبلا على الله في ذلك معرضا عما سواه" مائلاً عما سواه.

"وهذا الأمر الذي أمرناك به هو {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}" ننظر للآية مرة أخرى ونرى ثلاثة جمل فيها:

الجملة الأولى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا} فهمنا هذا الأمر.

الجملة الثانية: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}

الجملة الثالثة: {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}

بلغنا الآن الجملة الثانية وهي قوله: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} قال:



"ووضع في عقولهم حسننها واستقبحا غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة".

وهنا نحتاج أن نناقش الفطرة التي أوجز الشيخ رحمه الله الكلام عنها، وهو كلام فيه إيجاز وحسن، ويكفي لمن فهم التفاصيل أن يحفظ هذه الكلمات للدلالة على الفطرة.

أصل الفطرة أتت من الخلقة والهيئة، وكل مولود فطر، بمعنى أُعدَّ وهَيَّءَ بهذه الفطرة، وهذه الفطرة كما مرَّ معنا سابقاً فيها مُسَلِّمات وفيها مُستحسنات وفيها مُستقبحات، فكل نفس طفل معدّة ومهيّئة بأن تميّز بهذه الفطرة مصنوعات الله، وتستدلّ بها على الله، وتعرف شرائع الله، وتؤمن بها.

ما من أمر من أوامر الشريعة حسن إلا والفطرة السوية البعيدة عن الهوى والشهوات تشهد له، وما من منهي عنه في الشريعة إلا والفطرة السوية تشهد على قُبْحه، وشهادتها نتيجة وجود هذه الخلقة، الله تعالى خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق، كما أنّه خلق أعينهم وخلق أسماعهم تُدرك المُبصّرات وتسمع المسموعات، إذا بقيت على هذه الحال أدركت الدين الحق، وأدركت محاسنه، وشعرت بذلك بالتفصيل.

وقد شبّه النبي صلى الله عليه وسلم هذه الفطرة كما في الحديث: ((كَمَا تُنْتَجِ الْبَهِيمَةُ بِهَيْمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ))^١ بمعنى البهيمة تلد ولدها كامل الخلقة سليم من الآفات، لو تُرك على أصل تلك الخلقة يبقى كاملاً برئياً من العيوب، لكن هم يتصرّفون به، يجدعون أنفه، يوسمون وجهه، فطراً عليه النقائص، فيخرج عن أصله أنه أتى كاملاً.

وهكذا بني آدم عزّ وجلّ أعطاهم هذه القوة التي بها يُدركون الأشياء ويميّزوها ويستقبحون ويستحسنون ويطلبون الجزاء، تعالى إلى طفل صغير واضربه من خلفه سيسأل من فعل؟ كما يرى هذه المصنوعات ويقول من فعل؟ ثم إذا عرف أنك أنت الضارب يسألك لماذا؟ كما أن الطفل الصغير يسأل لماذا ضربت، فهو يسأل لماذا خلق الله عز وجل هذه المخلوقات؟

لذا بعدما خلق الله عز وجل هيئاً بني آدم بهذه الفطرة السوية خلق لهم ما يدركونه، بعد الإدراك نصب لهم الآيات، خلق السماوات والأرض والشمس والقمر، والبر والبحر، واختلاف الليل والنهار، كل ما نسمعه في سورة الروم من آيات وغيره كثير في كتاب الله، وكنا أمس قد استمتعنا بمدرسة جزء من سورة النمل التي فيها إشارة عن فطرة الإنسان، وتناقشنا أننا نجد في القرآن كثير من الأسئلة لا جواب عليها: {أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ} لا جواب، السبب أن الفطرة تجيب، كيف تتركون من فعل هذه الأفعال وتحبون غيره وتعظمونه؟! هذا قبيح أن يكون هو الذي يكشف عنكم الضر، وأن تكونوا في حال بؤس ويرفع عنكم، ويعطيكم ويغذيكم ويجعلكم خلفاء ثم تحبون وتعظمون غيره، أمر غاية في العجب، لكن هذه الأهواء أتتهم الشياطين كما في الحديث: ((وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ))^٣ اجتالتهم هذا المعنى كأنهم كرة يتقاذفونها الشياطين! فذهبت بأهوائهم يمينا وشمالا، ويصبح الإنسان ما أقام نفسه على التوحيد.

^١ متفق عليه

^٢ النمل: ٦٢

^٣ رواه مسلم في صحيحه



قال الشيخ: "وهذا الأمر الذي أمرناك به هو {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} ووضع في عقولهم حسنها واستقباح غيرها" إذن الفطرة فيها مستحسنت وفيها مستقبحات، بالإضافة إلى المسلّمات التي تأتي بالتوحيد".

"إنّ جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة" يكون بهذا الأمر واضح أن الفطرة من أكثر الأمور المهمة التي تفسّر لنا أحوالنا وأحوال ذراريها وأحوال الناس في إقبالهم على الإيمان، ومع ذلك نجد أن معرفتها التفصيلية قليلة، قليل ما يكون معروف عند الناس معناها.

قال: "ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ))" وهذا جزء من المعارضات التي تمنع الفطرة من العمل، واليوم المدارس التي لا تعني بتعليم الدين لها أكبر الأثر في تشويه الفطرة، وهذه المدارس الأجنبية حُطّة استعمارية قلّ من يلحظ ذلك، أسأل الله أن ينجي أبناءنا وأبناء المسلمين وأن نكون في حال نبيع الدنيا من أجل الدين، وأن نرعى أنّ أهل الكفر لا يحاربون الدين بتعليم دين آخر إنّما يحاربونه بتشويه الفطرة حتى تميع وتصل إلى حدّ اللا شيء! لا دين ولا استقامة ولا أخلاق ولا قيم! نعوذ بالله من الضلال بعد الهداية، ومن الزيف بعد بيان الحق.

قال: "{لَا تَبْدِيلَ لِحَقِّ اللَّهِ}" أي: لا أحد يبدل خلق الله فيجعل المخلوق على غير الوضع الذي وضعه الله" والمعنى لو أن شيوعي تزوّج شيوعية يحمّلان هذا الفكر إلى نهايته، قلوبهم قد امتلأت بالإلحاد وأن لا دين ولا إله، هذان الزوجان يأتينا بطفل على الفطرة السوية وإن أخذ منهم أسلم ييسر وسهولة، بل يبقى على أصله ويكون مسلماً، فلا أحد يبدّل خلق الله. "{ذَلِكَ}" الذي أمرنا به "{الدين القيم}" يعني إقامة وجهك للدين حنيفاً غير مغيّر ولا مبدّل هو الدين القيم يعني المستقيم. "أي: الطريق المستقيم الموصل إلى الله وإلى كرامته، فإن من أقام وجهه للدين حنيفاً فإنه سالك الصراط المستقيم في جميع شرائعه وطرقه.

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} فلا يتعرفون الدين القيم وإن عرفوه لم يسلكوه".

وهم لا يعرفون الدين القيم ليس لأنهم جهّال، فإنهم لو كانوا جهّال سيدخلون تحت الإعدار بالجهل لكنهم {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} لأنهم يُعرضون بعد التبليغ، يُعرضون بعد وجود الفطرة السوية، الله عزّ وجلّ وهبهم الفطرة السوية كان المفروض يتأمّلوا ويعرفوا الحق، لكنهم لا يعلمون بسبب أنهم بعيدين عن التأمل، ولا يعلمون من هذه الأشياء إلا ما يفيدهم في الدنيا، فإنهم يعرفون قمم الجبال، ويعرفون السهول والأهوار، ويعرفون أنواع الأسماك، ويعرفون أنواع المعادن، وهذا كله من أجل الدنيا، فهم لا يعلمون لأيّ شيء خلقت هذه الأشياء، ولا يعلمون لأيّ شيء خلقوا هم بأنفسهم.

ولما تسمع (أكثر الناس) يقع في القلب الخوف ويقع في القلب الرهبة من أن نكون من أكثر الناس هؤلاء الذين قام في فطرتهم الحقّ ثم أنهم لم يستفيدوا منه.

٤ متفق عليه.



قال تعالى: **{ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ }** ثلاثة أوامر، وهذا خطاب مرة أخرى للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه.

والمنيب في أصله هو الملازم للطاعة، ومن أناب صار ذا نوبة، يعني كأننا نقول نتناوب، أصبح ذا رجوع متكرر، والنوبة كما هو معلوم حصّة من عمل يتوزعها عدد من الناس، وفي الحديث عن عمر رضي الله عنه: كنت أنا وجار لي من الأنصار نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا المنيب كأنه يتعهد الطاعة تعهدًا متكررًا، فهو مواصل للطاعة، ملازم لها، يأخذ كل وقت حصّته، وقد وُصف إبراهيم عليه السلام بذلك: **{ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ }**.

ولذلك تقترب الإجابة من التوبة أيضًا؛ لأن المنيب دائماً رجّاح دائماً يأتي من نوبته، دائماً يخاف أن ينقطع عنها. **{ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ }** والأمر هنا بالتقوى بمعنى البُعد عن المعصية، فيجتمع الأمرين كما سيتبين الآن من كلام الشيخ السعدي. **"{ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ }** وهذا تفسير لإقامة الوجه للدين **"{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ }** والقرآن يفسّر ما هي إقامة الوجه للدين وهذا من أقوى أنواع التفسير تفسير القرآن بالقرآن، القرآن يفسّر القرآن، ما معنى منيبين؟ **"إِنَّ الإِنَابَةَ إِنْابَةُ الْقَلْبِ وَانْجِدَابٌ دَوَاعِيهِ لِمَرْضِي اللَّهِ تَعَالَى"** يعني هذا مائل محب مرضي الله يبحث عنها، يفتش عنها، قلبه منجذب إلى مرضي الله.

"ويلزم من ذلك حمل البدن بمقتضى ما في القلب فشمّل ذلك العبادات الظاهرة والباطنة" إذن المنيب قلبه انجذب فاجذب بدنه.

"ولا يتم ذلك إلا بترك المعاصي الظاهرة والباطنة فلذلك قال: **{ وَاتَّقُوهُ } فهذا يشمل فعل المأمورات وترك المنهيات"** إذن الإجابة انجذاب دواعي القلب إلى الله بمعنى كل شيء في قلبه يدعوه إلى الله، يرجو فيجد نفسه لا يرجو إلا الله، يخاف فلا يخاف مكانه إلا عند الله، يحب كل حبه لله حتى يحب من يحب أجل الله، ويطلب من الله أن يجعل من يحبهم زادًا له إلى الله، وكل دواعي قلبه في مرضي الله، هذا سيأتي بالبدن معه، سيطيع البدن، والتقوى تمنعه من المعاصي، فلذلك قال **{ وَاتَّقُوهُ }**، إذن الإجابة فعل المأمورات والتقوى ترك المنهيات.

"وخصّ من المأمورات الصلاة؛ لكونها تدعو إلى الإجابة والتقوى" وهذه جملة تحتاج إلى كثير من التأمل لأن له أحوال تفصيلية تحتاج أن نفهمها بالتفصيل لنفهم كيف أنّ الصلاة تدعو إلى الإجابة، وبما أننا فهمنا الإجابة وعرفنا أن المنيب انجذبت دواعي قلبه إليه ومن ثمّ بدنه، علينا أن نفكر كيف الصلاة تفعل هذا الفعل، وهذا يحتاج إلى كثير من التأمل والتدبّر في أحوال الصلاة والكلام الذي نقوله في الصلاة من أجل أن يتبين لنا هذا بأمر الله.

"وخصّ من المأمورات الصلاة؛ لكونها تدعو إلى الإجابة والتقوى لقوله تعالى: **{ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } فهذا إعانتها على التقوى"**.

إذن إقامة الصلاة ستجمع بين الأمرين: بين تحقق الإجابة وبين وجود التقوى، كيف فهمنا هذا؟ فهمناه من آية العنكبوت، في العنكبوت الله عز وجل قال: **{ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ }** هذه التقوى.



"{وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} فهذا حثها على الإنابة" فأعظم ما في الصلاة ذكر الله بل ذكر الله أكبر من الصلاة، المقصود أن يبقى قلبك ذاكر لله في الصلاة وفي غيرها ومنجذب دواعيه إلى الله، وليس ذكر باللسان فقط، إنما انجذاب الدواعي إلى الله. كما خصّ من المأمورات أهمها "وخصّ من المنهيات أصلها والذي لا يقبل معه عمل وهو الشرك فقال: {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} لكون الشرك مضادا للإنابة التي روحها الإخلاص من كل وجه" معنى ذلك: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ} هذه القاعدة، والمنيب يقوي إنابته والمتقي يقوي تقواه ويجمع بين الإنابة والتقوى في إقامة الصلاة، والمنيب والمتقي يقوي إنابته وتقواه بتركه للشرك وأن لا يكون مع أهل الشرك أبدا {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

"ثم ذكر حالة المشركين مهجناً لها ومقبحاً" نبتدئ الآن في الآية التي بعدها وتدلل على حال المشركين التي لا يليق للمؤمنين المتقين المنيبين أن تكون هذه حالهم.

{مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}

ونأتي هنا لوصف ذم يخافه المؤمن على نفسه ويخافه على أهل بيته، فإن كثير من الخلق لما لم يحسنوا التربية على قيمة الاجتماع على الدين تحولوا أبناءهم إلى حزيين ومتفرقين، ومن ثمّ ذهبت قوة الإسلام، فهؤلاء فرّقوا دينهم ويكونوا هؤلاء أيضاً فرّقوا دينهم، وما نراه اليوم من نُصرة الأحزاب ومن الدخول فيما لا يرضي الله يؤكد هذا الأمر، فالتفريق معناه مفارقتهم إياه وابتعادهم عنه، فافترقوا عليه، ما تابعوه وأعرضوا عنه فكأنه فارقوا المكان.

الإسلام وأهله اجتماع، صفتهم أنهم مجتمعين، لما لم يكن ذلك وتركوا الدين تفرّقوا يعني كانوا مجتمعين على الدين ثم تفرّقوا عنه. {وَكَانُوا شِيعًا} والشيع هي الجماعة التي تشايح أي توافق رأياً.

{كُلُّ حِزْبٍ} والحزب هم الجماعة الذين اجتمعوا على رأي ونزعة واحدة، فهؤلاء تفرّقوا عن الجماعة وانتقلوا إلى جماعة يشيعونها غير جماعة الدين القويم وذهبوا إلى هؤلاء الذين نزعتهم توافقهم.

{كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} يعني مبتهجين، والحقيقة هذه حالة ذميمة يحذر منها المسلمين ويقال هذه من أوصاف أهل الكفر، فإذا اختلفوا في أمور الدين اختلفاً يقتضيه الاجتهاد واختلاف يتصل بالسياسيات بسبب الأوضاع، فليحذروا أن يجرحهم هذا الاختلاف أن يكونوا شيعاً متفرّقين يلعن بعضهم بعضاً ويذيق بعضهم بأس بعض.

وهذا كما ورد في سورة المؤمنون {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}، يعني أنهم يفرحون بهذه الآراء التي يتبنونها ويظنون أنفسهم أنهم قد وصلوا إلى ما لم يصل إليه جماعة المسلمين.

وسأقرأ لكم كلام للحافظ ابن كثير -رحمه الله- في كتابه (البداية والنهاية) يصف هذه الحالة التفرق عن الدين واللحوق بالشيع والأحزاب في كلامه عن الخوارج:

يقول: "ثم خرجوا يتسلّلون وحداناً لئلا يعلم أحد بهم فيمنعوه من الخروج، فخرجوا من بين الآباء والأمهات والأعمام والعمات وفارقوا سائر القرابات، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أنّ هذا الأمر يُرضي رب الأرض والسموات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر والذنوب الموبقات، والعظائم والخطيئات، وأنه مما يزيّنه لهم إبليس وأنفسهم التي هي بالسوء أمارات، وقد تدارك



جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم فردّوهم ووبّخوهم، فمنهم من استمرّ على الاستقامة، ومنه من فرّ بعد ذلك فلحق بالخوارج فخرس إلى يوم القيامة!" انتهى كلامه رحمه الله.

والمقصود أنّ هذه الأحزاب ما أتت أبداً للعالم الإسلامي في أي زمن بخير، بل هي من صفات أهل الجاهلية، وقد ألف الشيخ محمد عبد الوهاب - رحمه الله - رسالة لطيفة باسم (مسائل الجاهلية) جعلها من أخطر المسائل وهي التحزّب وأعاد وكرّر فيها، وأصحابها يخرجون بآراء ويجعلونه دين ويحملون الناس عليها ويفارقون بذلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

إلا أنّ الناس اليوم لا يفرّقون بين الاختلاف في الاجتهاد وبين الأحزاب، فيخلطون هذا على هذا، ويرون اختلافًا في الاجتهاد أو اختلافًا في الآراء أو في طرق أمور في الدعوة، يروا كل أحد خالفهم أصبح حزبًا دونهم، وهذا مما يسبّب من جديد الافتراق، وقد مرّ معنا في قوله تعالى: **{واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين}**.

قال: "ثم ذكر حالة المشركين مهجناً لها ومقبّحاً فقال: **{مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ}** مع أنّ الدين واحد وهو إخلاص العبادة لله وحده وهؤلاء المشركون فرقوه، منهم من يعبد الأوثان والأصنام، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين، ومنهم يهود ومنهم نصارى.

ولهذا قال: **{وَكَانُوا شِبَعًا}** أي: كل فرقة من فرق الشرك تألّفت وتعصّبت على نصر ما معها من الباطل ومنازعة غيرهم ومحاربتهم.

{كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ} من العلوم المخالفة لعلوم الرسل **{فَرِحُونَ}** به يحكمون لأنفسهم بأنه الحق وأن غيرهم على باطل " إذن هذا حالهم، نحن ما علاقتنا؟! قال الشيخ:

"وفي هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم وتفرّقهم فرقا كل فريق يتعصّب لما معه من حق وباطل " يعني هذه ميزة الأحزاب، أنه لما يدخل حزب ينصر حربه حقًا كان أو باطل، لا مجال للانتقاد ولا مجال للامتناع ولا مجال لمناقشة الأفكار التي تُطرح، ينصر هذا الفريق لما معه حق وباطل.

"فيكونون مشابهيين بذلك للمشركين في التفرق بل الدين واحد والرسول واحد والإله واحد، وأكثر الأمور الدينية وقع فيها الإجماع بين العلماء والأئمة" إذن الأصل أن الأمور الدينية مجمع عليها والخلاف يعتبر بسيط لكنهم يضحّمون الخلاف.

قال: "والأخوة الإيمانية قد عقدها الله وربطها أتمّ ربط، فما بال ذلك كله يُلعى ويُبني التفرق والشقاق بين المسلمين " الحقيقة غالبها تكون أهواء وعلل نفسية.

"على مسائل خفية أو فروع خلافية يضلل بها بعضهم بعضا، ويتميز بها بعضهم عن بعض؟

فهل هذا إلا من أكبر نزغات الشيطان وأعظم مقاصده التي كاد بها للمسلمين؟" والله ونحن نشهد بذلك أنه من أكبر نزغات الشيطان.

قال: "وهل السعي في جمع كلمتهم وإزالة ما بينهم من الشقاق المبني على ذلك الأصل الباطل، إلا من أفضل الجهاد في سبيل الله وأفضل الأعمال المقربة إلى الله؟" ونحن نشهد على ذلك أن هذا الجهاد من أعظم أنواع الجهاد ونفعه كبير الحمد لله على المسلمين.



قال: "ولما أمر تعالى بالإجابة إليه - وكان المأمور بها هي الإجابة الاختيارية، التي تكون في حالي العسر واليسر والسعة والضيق - ذكر الإجابة الاضطرارية" الإجابة الاضطرارية التي تكون وليدة الفطرة؛ لأن وقت الأزمة تظهر الفطرة وليس لهم إلا الله. "التي لا تكون مع الإنسان إلا عند ضيقه وكرهه، فإذا زال عنه الضيق نبذها وراء ظهره وهذه غير نافعة" نبذ الإجابة وراء ظهره، وتصبح هذه الإجابة غير نافعة، إذن هذه الإجابة الاضطرارية أمام الإجابة الاختيارية.

قال تعالى: {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}

المقصود هنا هؤلاء الخلق الذين سيكون حالهم الإجابة الاضطرارية.

"{وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ} مرض أو خوف من هلاك ونحوه" وهو ما سمعناه وسمعنا مثيله في سورة النمل: {أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء}، هذه كلها أحوال ضر تصيب الإنسان.

"{دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} ونسوا ما كانوا به يشركون في تلك الحال لعلمهم أنه لا يكشف الضر إلا الله" هنا تظهر الفطرة السوية تذهب الانحرافات، يعرف الإنسان ذاك الوقت أن أهل الأرض لا ينفعون، قلبه يتعلق فيعرف أن ربه في السماء ينفعه فينيب، ينيب يعني يتوب إلى الله من شركه وكفره ويرجع إليه، فهذا إذا مسّه الضرّ من قحط أو شدة يدعو الله عز وجل أن يرفع عنهم.

والحقيقة هذه حال من أسوأ أحوال الخلق أنهم بعد هذا :

"{ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ} شفاهم من مرضهم وآمنهم من خوفهم، {إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ} آذاهم فقط، مثل ما يصيب المطعوم طرف اللسان، وهي أضعف حالة، يعني هي أقل من المضغ والبلع، فقط يذيقهم رحمة تخليصهم من الشدة ماذا يحصل؟ إذا فريق منهم أسرعوا العودة إلى الشرك بمجرد حدوث ذوق الرحمة، لأن الكفر والفسوق أصبح كاملاً في نفوسهم. والمسلمين اليوم يعانون من هذه الصورة معاناة، ففي البر والبحر والجو ما فيه من الأضرار التي يمكن أن تلحق الإنسان في سفره في حله وترحاله، يدعو الله إذا آذاهم منه رحمة إذا فريق "ينقضون تلك الإجابة التي صدرت منهم ويشركون به من لا دفع عنهم ولا أغنى، ولا أفقر ولا أغنى، وكل هذا كفر بما آتاهم الله ومنّ به عليهم حيث أنجاهم، وأنقذهم من الشدة وأزال عنهم المشقة، فهلاً قابلوا هذه النعمة الجليلة بالشكر والدوام على الإخلاص له في جميع الأحوال؟"

ثم أن الله يجعل العبد يمر بهذا الاضطرار لتأتي الإجابة الاضطرارية ثم يأتي من ورائها الإجابة الاختيارية، لكن تمرّ عليهم هذه المسائل ولا يعتنون بها.

"{أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا} أي: حجة ظاهرة {فَهُوَ} أي: ذلك السلطان، {يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ} "كأن السؤال عن ما السبب في إصرارهم على هذا الدين الباطل؟! الله بين لهم الحق وبين لهم النعماء، فمن أجل أي شيء هم يتمسكون هذا التمسك؟! هل معهم سلطان "يقول لهم اثبتوا على شرككم واستمروا على شككم فإن ما أنتم عليه هو الحق وما دعوتكم الرسل إليه باطل.



فهل ذلك السلطان موجود عندهم حتى يوجب لهم شدة التمسك بالشرك؟! "مع أن فطرهم تناديهم للتوحيد، مع أن الله عز وجل يريهم من الآيات الكونية ويمرر عليهم من المواقف التي تخصهم من الشدة.

"أم البراهين العقلية والسمعية والكتب السماوية والرسل الكرام وسادات الأنام، قد نھوا أشد النهي عن ذلك وحذروا من سلوك طرقه الموصلة إليه وحكموا بفساد عقل ودين من ارتكبه؟" وهذا الصحيح أن كل الأدلة أمامنا تقول ليس إلا التوحيد.

"فشرك هؤلاء بغير حجة ولا برهان وإنما هو أهواء النفوس، ونزغات الشيطان" سمعها هؤلاء فأقبلوا عليها ووقعوا فيما وقعوا فيه.

نعوذ بالله من الشرك، نسأل الله عز وجل أن نكون ممن أناب إليه إنابة اختيارية وأنه لا يحتاج في حياته أن يمر بموقف إنابة اضطرارية، فنبقى منيبين وعند بابه منكسرين ولتعظيم جنابه راغبين.

نسأل الله بمّنه وكرمه أن يجعلنا من المسلمين المؤمنين.

سبحانك اللهم وبمحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

انتهى اللقاء بفضل الله..

